العملية التربوية وتفاعل عناصرها وفق المقاربة بالكفايات*

د. نصرالدين الشيخ بوهني**

* تاريخ التسليم: ٣/ ٨/ ٢٠١٣م، تاريخ القبول: ٣١/ ٨/ ٢٠١٣م.
** أستاذ مشارك/ تخصص لغويات/ المركز الجامعي/ معهد اللغة والأداب/ قسم اللغة العربية/ غليزان/ الجزائر.

ملخص:

يشهد عالمنا العربي اليوم جهودا مكثفة لتطوير برامج التربية العملية، وإرساء الأسس المتينة لتنمية الكفايات التدريسية، والعمل على إعداد جيل من المعلمين يسهمون في تنمية مجتمعاتهم، وقد أثبت الخبراء بأن العملية التنموية لن تتم إلا بالعملية التربوية، ذلك أن التربية تقدم للتنمية خدمة جليلة في تكوين الإطارات التي تتكفل بالتنمية في جميع مجالاتها، ولا سبيل إلى ذلك إلا إذا تكفلنا تكفلا جديا بالتعليم والاهتمام بأقطابه الأساسية للعملية التربوية (المعلم، المتعلم، البرنامج) .

إنّ نجاح العملية التربوية مرهون بالتفاعل الجيد والمتين بين عناصرها الأساسية؛ لأن أهمية التربية وقيمتها تتجلى في تطوير الإنسان وتنميته الاجتماعية والاقتصادية، وفي مواجهة التحديات الحضارية، فهي في نظرنا استيراتجية قومية كبرى لكل شعوب العالم.

إن للعملية التربوية معان تختلف حسب أصحابها وفلسفتهم التربوية، ومحور اهتمامهم، وبيئتهم الاجتماعية، فمن المربين من يركز جل اهتمامه على المعارف والمعلومات، ومنهم من يعنى بنمو الشخصية لدى المتعلمين، في حين يهتم آخرون باستثمار العملية والتي بدورها تنعكس على سلوك المتعلم من زوايا مختلفة، **و عليه فقد تناولت في دراستي هذه الأقطاب الثلاثة المتمثلة في:**

١. المعلم
٢. المتعلم
٣. المنهاج

وقد بدا لي أن أناقش هذه الأقطاب لأنها محور العملية التربوية، ولأن هذه العناصر تسير جنبا لجنب مع بعضها، ولا يمكن أن يستغني عنصر عن آخر، وحاولت أن أوفي كل عنصر حقه من التحليل، مبينا أن العملية التربوية كانت تتم سالفا عن طريق المقاربة بالأهداف، حيث يعمل المعلم على الوصول إلى الهدف المنشود من تعليمه، وبسط درسه، ولكن الطريقة هاته أبقت المتعلم والمعلم والمنهاج على شاكلة واحدة ومحدودة، لم تخرجهم عن نطاق الهدف المبتغى، وحصرتهم في تقديم الدرس كمادة خام، دون أن يلجأ إلى الإبداع والابتكار، وهو ما يستدعيه العمل بالكفايات، فيجعل من المعلم فنانا مبدعا ومبتكرا، ومن المتعلم قادرا على التفكير في حل المعضلات، وكسب المهارات، ومن المنهاج بسيطا وملائما للعملية التربوية.

ثم خلصت في دراستي الموسومة بالعملية التربوية وتفاعل عناصرها وفق المقاربة بالكفايات إلى نتيجة مفادها أن أقطاب العملية التربوية كلّ متكامل، وكل عنصر منها يحتاج إلى الآخر، وأنها ليست بالعمل المرتجل، ولكنها عملية ممنهجة هادفة، بنيت على نظام يتصل بالفرد ويمسه في شخصه وكيانه، ويسايره في مجتمعه.

Pedagogical Procedure and Interaction of its Elements According to Competency Based Approach

Abstract:

Today, many efforts are done to develop the education programmes in our Arab world, in order to build effective bases for the teaching competency development and to prepare for a new generation of teachers contributing to their societies progress, The specialists proved that progress depends on education; education has a certain role to play in development through forming the frames for the different fields of development; This may be effective if we give more interest to education, and to the elements of education (teacher, learner, programmes) .

The success of the education process depends on the strong interaction between its main elements since its importance and value are reflected in the social and economic development of man to face civilization challenges. It is, in our opinion, a major national strategy for all people of the world; a necessity to build up contemporary nation.

There are many explanations for the educational process which depend on their owners, their teaching philosophy, the main theme of their interests and their social environment. There are, among educators who focus on knowledge and information, and others interested in the personality growth in learners, whereas, others exploit the process that influences the learners' behaviours from varios angles. This research treats these three aspects: teacher- learner- programme according to the competency approach.

The researcher discusses these aspects as the bases of education process which are inter related and move as a whole. He tries to explain and analyze each of them, pointing out that the education process was working in the past within limited aims, which was not very fruitful as it restricted learners within limited aims, without trying to encourage creativity.

This necessitates working on competency for having a creative teacher, a student able to think and solve problems and a program which is both simple and suitable for the education process.

مقدمة:

ينادي خبراء التربية والتعليم في عالمنا العربي ببذل الجهود في إصلاح المنظومة التربوية، وتطوير برامجها العملية، وترسيخ القواعد والأسس لترقية الكفايات التدريسية، ووضع اللبنات في إعداد وتكوين جيل من المعلمين يسهمون في تنمية مجتمعاتهم، وقد أثبت هؤلاء الخبراء بأن التنمية لن تتم إلا بالعملية التربوية، ذلك أن التربية تقدم لها خدمة جليلة في تخريج الأطر التي تتعهد بالعمل في تطوير المجتمع في جميع مجالات التنمية، ولا يكون ذلك إلا بالاهتمام بالتعليم، وبأقطابه الأساسية للعملية التربوية.

وفي ضوء تفاعل هذه العناصر التربوية تكمن إشكالية بوصفها عقبة تحد من تطوير العملية، والتي يمكن حصرها في هذا السؤال: **إلى أي مدى يصبح تفاعل عناصر العملية التربوية منعكسا على تحسين مردود العمل التربوي؟**

من خلال الإشكالية المطروحة، نستطيع أن نتصور واقع تلاحم وتماسك العناصر التربوية، ونتائجها المستقبلية **بناء على الشروط الآتية**:

- تحسين مستوى المعلم وتكوينه تكوينا مستمرا.
- الاهتمام بالمتعلم والعمل على بناء شخصيته.
- تطور البرامج وتوافقها لمتطلبات العصر.

والهدف من دراستنا هذه أن يدرك كل من له صلة بهذا الموضوع أن نجاح العملية التربوية مرهونة بالتفاعل الجيد والمتين بين عناصرها الأساسية؛ لأن أهمية التربية وقيمتها تتجلى في تطوير الإنسان وتنميته الاجتماعية والاقتصادية، وفي مواجهة التحديات الحضارية، فهي في نظرنا استيراتجية قومية كبرى لكل شعوب العالم، ولما لها من ضرورة في بناء الدول وعصرنتها.

و لقد قادني اختياري لهذا الموضوع، هو اهتمامي بالمجال التربوي من جهة، ولأنه أساس نجاح الشعوب من جهة أخرى، وبدونه تفقد هذه الأخيرة نكهتها وقيمتها، ولقد تطرقت في دراستي إلى هذه الجوانب الثلاثة (المعلم، المتعلم، البرنامج) وأعطيت لكل جانب حقه من الدراسة والتحليل، إلا أن الوقت لم يسمح لي بالتفصيل في هذا الموضوع كثيرا، نظرا لالتزامي بشروط النشر، ومع هذا فإن خير الكلام ما قل ودل.

وقد يتساءل القارئ عن سبب عنونتنا هذه الدراسة بهذا العنوان، العملية التربوية وتفاعل عناصرها وفق المقاربة بالكفايات، لأني رأيت أن مثل هذه العملية كمثل الشيء المركب، إذا نقص منه عنصر اختل توازنه، وعيقت حركته عن العمل وأصبح غير فعال، وأن العملية التربوية أساس تنمية المجتمعات إذا تفاعلت وفعّلت، وتمام العملية يكون مسايرا للظروف التي تحتم علينا فرض أنفسنا في واقعنا المعيش، فلا يمكن أن نتلقى المعلومات دون أن نستثمرها، فقد أثبت الخبراء أن عصرنا عصر التكنولوجيا المقننة، يستدعي العمل على إنتاج أشخاص قادرين على مواكبة زمانهم، ومسايرته بإعداد أنفسهم الإعداد الجيد والتام، وأن من يلج معركة وجب عليه أن يعد الزاد والسلاح ليواجه به معتركها، ويخطط في نتائجها فإما منتصر وإما منهزم، ولكنه مع التخطيط والإعداد يظل محافظا على توازنه، قادرا على إدارة ما أسند إليه، فالقائد الذي يقود معركة ما يحتاج إلى جنود وإلى خطة يكسبانه الفوز والنصر، فكذلك العملية التربوية هي معركتنا في هذا المعترك تحتاج إلى عناصرها لتتفاعل فتنتج لنا ما تسمو به البلاد وينفع العباد.

إن للعملية التربوية معان تختلف حسب أصحابها وفلسفتهم التربوية، ومحور اهتمامهم، وبيئتهم الاجتماعية، فمن المربين من يركز جل اهتمامه على المعارف والمعلومات، ومنهم من يعنى بنمو الشخصية لدى المتعلمين، في حين يهتم آخرون باستثمار العملية والتي بدورها تنعكس على سلوك المتعلم من زوايا مختلفة، وهو ما ستثريه هذه الدراسة.

عناصر العملية التربوية :

تعتمد الإنسانيةُ في تجاربَها- على امتداد تواجدِها و اختلافِها- مرجعيةً معرفيةً تتوصَّدُ بها سلم رقيها الحضاري؛ ومن ميزات هذا الامتداد التجدد و التنوع، ولذا أضحى لزاما التفكير في العملية التربوية بغية الإصلاح، و نقصد بالإصلاح التربوي صب الاهتمام والتركيز على إعداد المعلم إعدادا جيدا، بحيث يعمل بدوره على تنشئة جيل متطلع إلى المستقبل منتهج نهج الأولين و لا يَصْلُحُ آخر هذه الأجيال إلا بما صَلُحَ به أوَّلهُا.

١. المعلم:

إن مما لا شك فيه أن المعلم هو أساس العملية التعليمية، فبدونه تصبح هذه العملية عرجاء، ولذا كنا قد أطلقنا عليها هذا الاسم إجلالا وإكبارا لهذا الذي كاد أن يكون رسولا، فالعملية هاته كالبناء الذي يخطط له فيقوم البنّاء بزخرفته وتشكيله شكلا محكما يحار الناظر عند رؤيته، إلا أن البنّاء والمعلم يتباينان في أشياء ويتفقان في أخرى، حيث إن

المعلم يبني عقولا، وينشئ نشئا يعود على مجتمعه بالخير، فيطوره أو يسهم في هدمه، أما البنّاء فيتعامل مع المواد الجامدة والتي يطوعها كيف شاء، ومن هنا كانت العملية التربوية جزءا هاما من حياتنا التي لا يمكن أن نتجاوزها إلا إذ تحكمنا فيها، وهذا لا يعني التخلي عنها لأن ذلك يصبح وبالا علينا وعلى نشئنا المنتظر.

إن لشخصية المعلم تأثيرا كبيرا في التحصيل العلمي يفوق تأثير المعلومات التي يقدمها لطلابه؛ فبقدرته وتأثيره يستطيع دفع المتعلمين لتحصيل العلم، وإحساسهم بالطمأنينة والأمان، و (لذا فطبيعة تأثير المعلم على التلميذ مرتبطة بنوعية الصورة التي يحملها عنه التلميذ من جهة، وبنوعية الصورة الفعلية المكونة عنه نتيجة احتكاكهما ببعضهما من جهة أخرى) [١] ، ويجب أن أقف هنا وقفة متأمل في كلمة « معلم» لأتعرف على فحواها ومفهومها قبل أن أذكر تأثيره على محيطه وخصائصه التي يجب أن يتصف بها. فالمعلم ذلك المربي الذي يعمل باهتمام بالغ على تنشئة طلابه، وتدريبهم على التفكير المنطقي السليم، فيهذب أخلاقهم، ويبث فيهم روح التفاني في العمل وحبه، والمعلم (لقب نبيل أطلق منذ فجر التاريخ على الأنبياء والمرسلين، وهداة البشرية الآخذين بيد الإنسان إلى نور العلم وسماحة الأخلاق... وقديما قيل: » لولا المربي ما عرفت ربي «، فالتربية والتعليم رسالة لا مهنة عادية، والمربي الحق حامل رسالة، فهي أقدر الرسالات وأشرفها) [٢] ، والمعلم هو الذي يكشف مواطن القوة والضعف في أبنائه الطلبة، فيزودهم بما يملك من خبرات ويوجههم التوجيه السليم و (يعمل على تزويد الطفل بالخبرات التعليمية التي تتسم بطابع الاتصال والوحدة والاستمرار المتحد، لا الوحدة الممزقة، ومدرس الفصل هو الذي يدرس الطفل الذي أمامه يدرسه في كل وقت ليفهمه ويعرف إمكاناته ويدرك قدراته واستعداده... وبناء على هذا الإدراك يوجهه ويوجه نشاطه فيما يلائم استعداداته فيما يعود عليه بالنفع) [٣] .

وعليه فإن مهمة المعلم التعليم، وهي مهمة ليست بالسهلة في نظر المربين، لأنها تدخل في مهنة صناعة الرجال، و (الحق إن الذي يصنع الرجال يجب أن يكون أكثر من رجل، أيمكن حقا العثور على المربي، هذا المخلوق النادر الوجود؟ أما أنا فإنني أشعر كثيرا بعظم واجبات المربي ولن أجرؤ يوما على تحمل مسؤولية كمسؤوليته) [٤] ، لذا فالتعليم مهمة الرسل والأنبياء، وهي رسالة ربانية مقدسة تتولى التعامل مع عقل الإنسان فتطهر روحه وتسمو به إلى العلياء، وما نقص قدر العلم والتعليم إلا بعدما جعلناه وظيفة تؤدى لأجل المقابل المادي، وتقييد المعلم وحصره حتى أصبح يجمع المعلومات دون تصويبات ويلقيها على طلابه، وهو ما ترفضه هذه الرسالة الربانية التي تدعو إلى تكريم المعلم

والرفع من شأنه وإعطائه مكانته التي شرفه الله تعالى بها، ذلك أن نجاح المعلم مرهون بحبه لمهنته، ورغبته في أداء ما حمل من أمانة، وإلا فشل فيها، وهنا يجب أن أعرض تلك الآداب والواجبات التي من الواجب أن تتجلى في شخصية المعلم، بل من المفروض أن يكون عليها.

أ. **واجبات المعلم**:

المقصود بالآداب تلك الشروط والواجبات أو القواعد المثلى التي ينبغي للمعلم التحلي بها وانتهاجها ليتمكن من تأدية العملية التربوية على أحسن وجه، وهذا مخطط ببيان تلك الآداب– كما رآها ابن جماعة في آدابه– في هذا التصنيف:

- آداب المعلم في نفسه
- آداب المعلم مع طلابه
- آداب المعلم في درسه [٥]

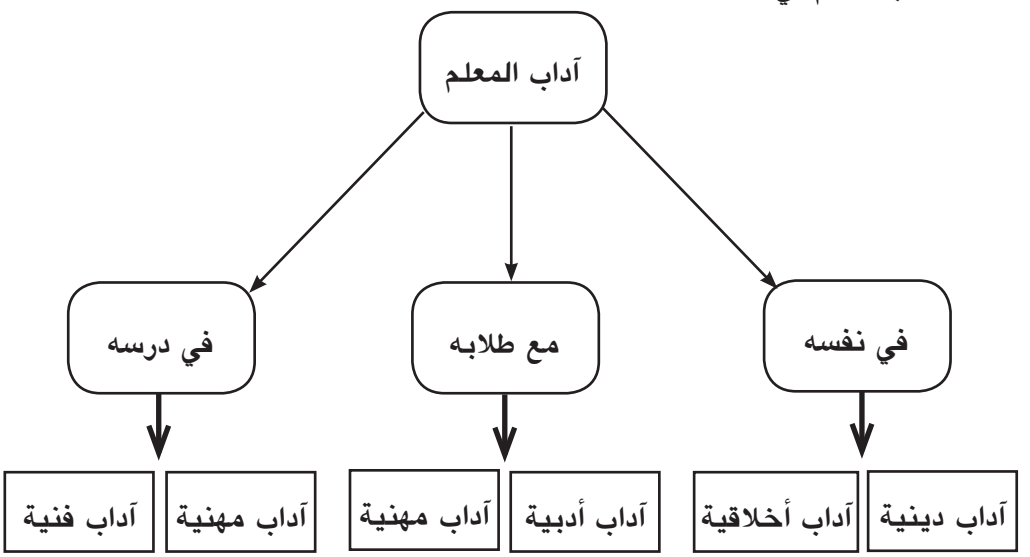

وهنا يجب أن أتوقف قليلا لأوضح هذه الآداب والقواعد ولو بصفة موجزة، نظرا لأهميتها القصوى في العملية التربوية، وما دمنا نتحدث عن التربية، فلا بد من إدراج هذه الآداب قصد التحلي بها ونشرها بين المعلمين والمتعلمين، ولا أرى تركها والاستغناء عنها في صالح العملية التعليمية، بل يسوؤها ويحط من قيمتها وقيمة المعلم، ذلك لأنها سمات تتعلق بشخصية المعلم فتكسبه الهيبة والوقار بين طلابه وفي مجتمعه.

ب. آداب المعلم في نفسه:

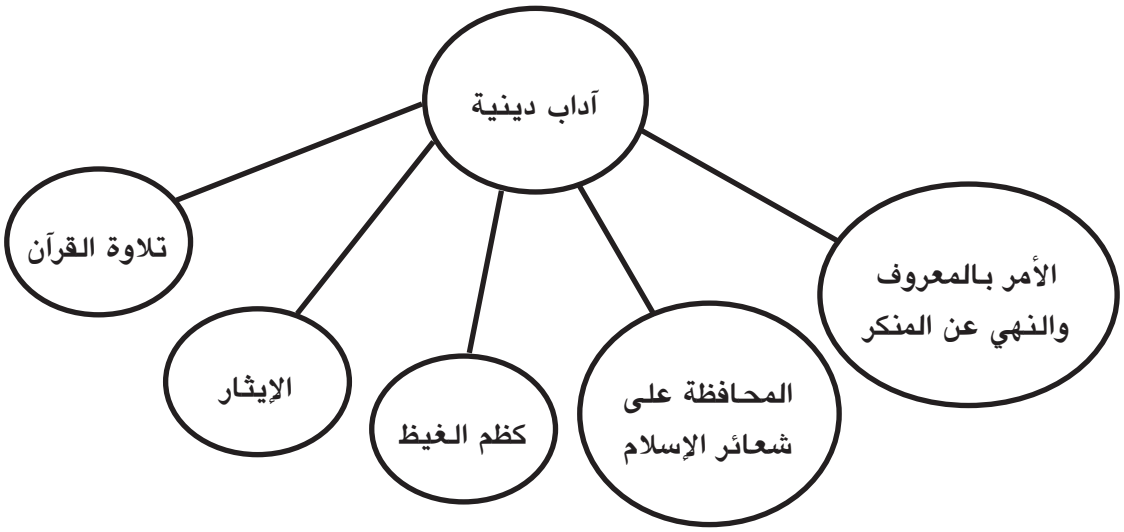

فهذه الآداب الدينية تساعد المعلم في مهنته والمحافظة على شخصيته، فإذا كان لا يأمر طلبته بالمعروف ولاينهاهم عن المنكر، ولا يتحكم في انفعالاته، ولا يفضل غيره على نفسه، ولا يقرأ القرآن، فقد تعود مهنته وبالا عليه، ويخرج طلبته عن طاعته فلا يفقهون عنه شيئا.

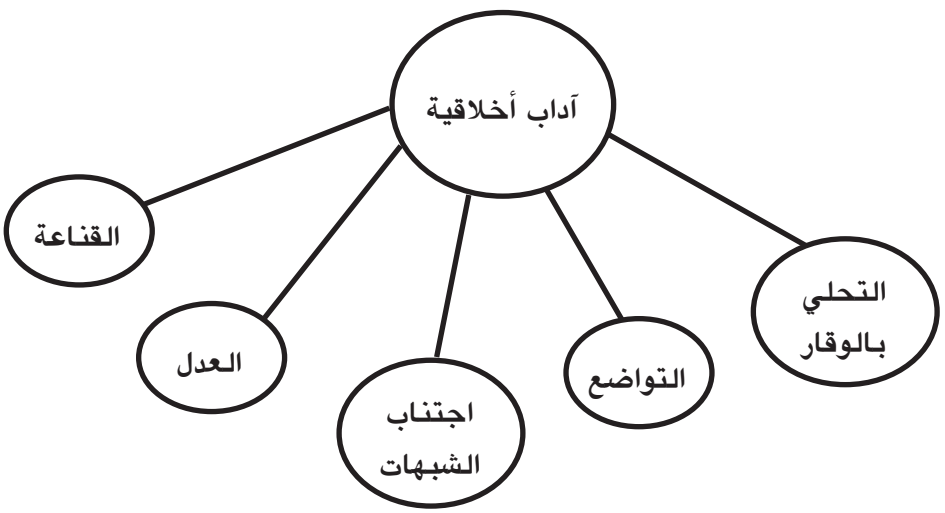

وهذه الآداب لها علاقة بالآداب الدينية، ذلك أن المعلم المتحلي بها يفرض على نفسه الوقار والتواضع لتلين له القلوب، ويكسب ودّ طلبته، ولا يكون محط شبهة ولا ريبة، قانعا بما قسمه **الله** له، عادلا في حكمه.

ت. آداب المعلم مع طلابه:

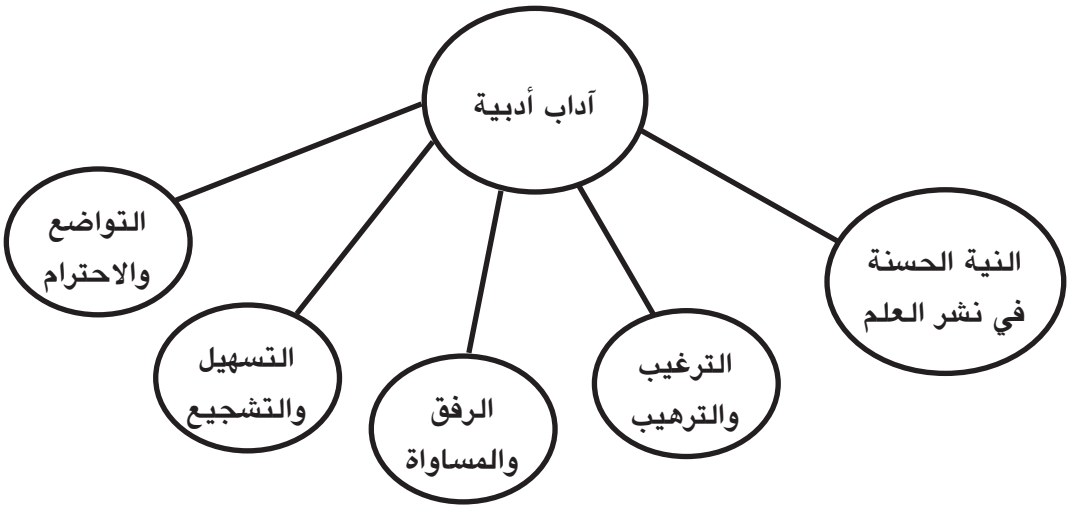

فالنية الحسنة في نشر العلم والعمل به، تجعل من المعلم أسوة يقتدى به، فهو رفيق بطلبته لا يفرق بين أحد منهم إلا بالعلم، يحترم الصغير والكبير ويتواضع، يعمل على تبسيط الدرس وتسهيله، ويقوم بتشجيع الطلاب فيرغبهم أحيانا ويرهبهم أحيانا أخرى متى رأى ذلك مناسبا.

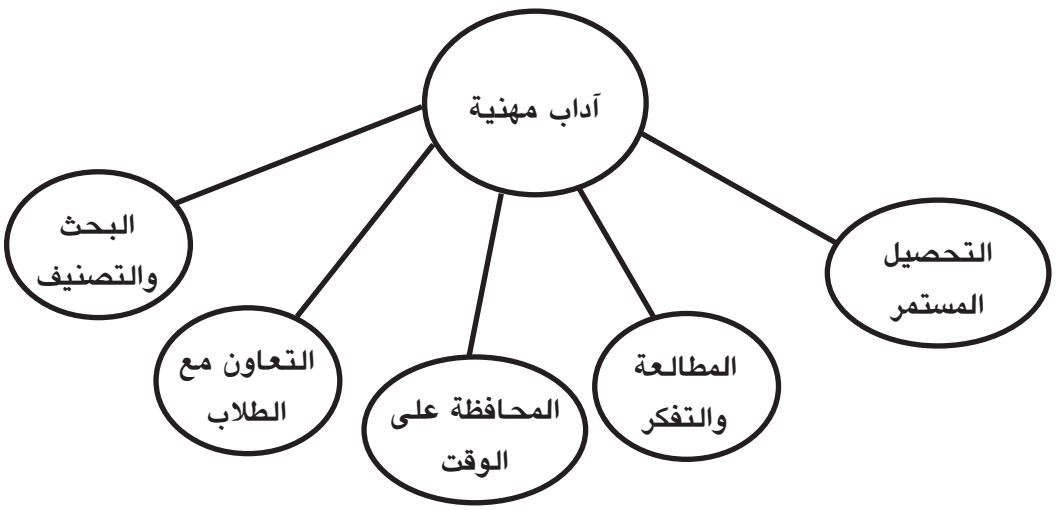

و تحقيق مثل هذه الأداب، تساعد المعلم على فهم درسه، وإيصال ما يبغيه إلى طلبته بكل سهولة ويسر، و تجعله رائدا في صفه منفتحا على عالمه.

ث. آداب المعلم في درسه:

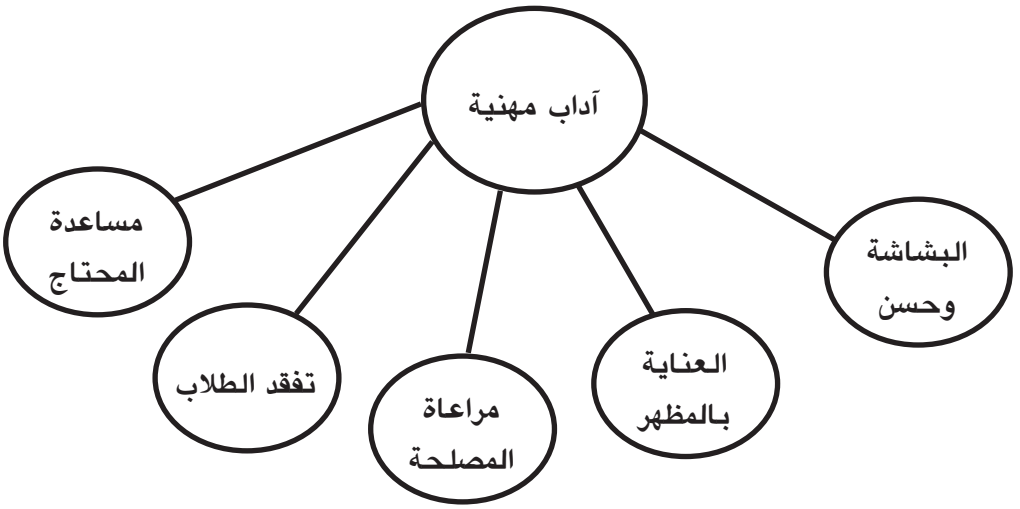

حقيقة أن مهنة التدريس تستدعي التحلي بهذه الواجبات، فلا يمكن للمعلم القيام بمهنته إذا لم يراع المصلحة العامة، فيساعد المحتاج، ويعتني بمظهره، ويحسن استقبال طلابه بالبشاشة والابتسامة، ويتفقدهم كلما دعت الحاجة لذلك.

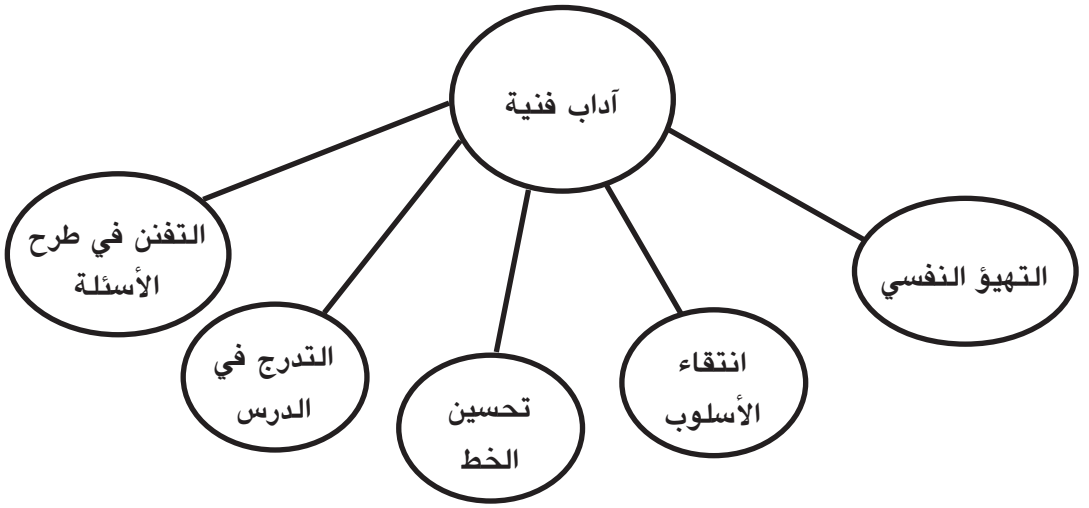

المعلم المثالي هو الذي يستطيع أن يتفنن في درسه فيبدع ويبتكر، وينتقي لطلابه ما يفيدهم ويسعدهم، فهو فنان في خطه وحكيم في طرح أسئلته، منتقلا من السهل ليصل إلى حل الصعب.

خصائص المعلم الفاعل:

كثير من الباحثين وبخاصة المختصين منهم في مجال التربية والتعليم، ركزوا على صفات ينبغي على المعلم أن يتحلى بها ليصبح ناجحاً في مهمته، ذلك أن الجود ة الفعلية للتعليم تعتمد في الأساس على المعلمين الذين ينفذون كل المهمَّات والأنشطة التعليمية بصدق وإخلاص، والذين يتسمون بخصائص عدة تجعلهم يؤثرون في طلابهم، فيقتدون بهم وينهجون نهجهم ويؤدون مهامهم على أكمل وجه، كما أن هذه الخصائص تلعب دورا هاما في تحديد فعالية العملية التربوية ونجاحها **وقد رأيتني ألخص تلكم الخصائص في هذا الجدول**:

٠١	الخصائص الشخصية	– الاتزان و الدفء و المودة، – مراعاة الفروق الفردية، – التحلي بالصدق والأمانة، – الصبر واحترام الغير، – التفاني في العمل وحب المهنة، – سلامة الحواس، – الاعتناء بالمظهر الخارجي، – العطف والتسامح والتشجيع، – التحمس المرح الديمقراطي.
٠٢	الخصائص المعرفية	– الإعداد الأكاديمي و المهني، – اتساع المعرفة و الاهتمامات، – معرفة ميول ورغبات الطلاب، – تجديد المعلومات وانتقاء الأساليب التعليمية، – اختيار الوسائل التعليمية وحسن استعمالها.

إذن فالمعلم الفعال مدعو لامتلاك المعارف النظرية والتطبيقية، والقدرة على استغلالها قصد تحقيق الأهداف والكفايات المبتغاة، والمتوافقة مع اهتمامات الطلاب.

وانطلاقاً من هذا يحتاج المعلم إلى ابتكار وضعيات يستعين بها في تنمية قدرات المتعلم وكفاياته، وهي ما يطلق عليها في عصرنا « المقاربة بالكفايات» و (هي طريقة لإعداد الدروس والبرامج التكوينية اعتمادا على التحليل الدقيق لوضعيات العمل التي يتواجد فيها المتكونون أو التي سوف يتواجدون فيها) [٦] . وللمقاربة بالكفايات مزايا عديدة تساعد على تحقيق الأغراض التعليمية والتربوية أوردها كالآتي:

- تشجيع وتحفيز المتعلم على الإبداع والعمل المستمر.
- تنمية القدرات والمهارات، ومعرفة الفروق الفردية.
- التركيز على البرامج والمحتويات.

- اكتشاف الأساليب البيداغوجية في إنجاز المشاريع وحل المشكلات.
- الاعتماد على بيداغوجية التحكم.

وتقوم عملية المقاربة بالكفايات على جملة من المبادئ أستخلصها مجدولة فيما يأتي:

مبادئ الكفاية	تعريفات وملاحظات
الإجمالية (Globalité)	يعتمدها المعلم في تحليل عناصر الكفاية انطلاقا من وضعية شاملة، بحيث يسمح هذا المبدأ بالتأكد من قدرة المتعلم على تجميع مكونات الكفاية (السياق، المعرفة، الدلالة) .
البناء (Construction)	ونعني بها تفعيل ما اكتسبناه من قبل، وبناء مكتسبات جديدة، أي ربط المعلومات السابقة بالمكتسبات الجديدة.
التناوب (Alternance)	وهذا المبدأ يجعل المعلم ينتقل من الكفاية إلى أجزائها ثم الرجوع إليها.
التطبيق (Application)	ومعناه التعلم بالتصرف، وممارسة الكفاية قصد التحكم فيها.
التكرار (Itération)	وهنا يضع المعلم المتعلم عدة مرات أمام المهام والمحتويات نفسها والتي تكون في علاقة مع الكفاية، ما يسمح بالتدرج في التعلم قصد التعمق فيه على مستوى المحتويات والكفايات.
الإدماج (Intégration)	ربط وإدخال العناصر المدروسة بعضها ببعض أي توظيف مكونات الكفاية بشكل إدماجي إنماء لها، وهو ما يسمح بتطبيق الكفاية حينما تقتر ن بأخرى.
التمييز (Distinction)	وفيها يقف المتعلم على مكونات الكفاية (سياق، معرفة سلوكية وفعلية، دلالة) ، ما يسمح بالتمييز بين محتويات الكفاية ومكوناتها بغية امتلاكها امتلاكا حقيقيا.
الملاءمة (Pertinence)	وهي إبداع وابتكار وضعيات ذات دلالة، تجعل المتعلم يتحفز للتعلم، وهنا تكون الكفاية أداة لإنجاز مهام مدرسية.
الترابط (Cohérence)	وهذا المبدأ يتيح للمعلم والمتعلم الربط بين الأنشطة التعليمية والتعلمية وأنشطة التقويم بغية إنماء الكفاية وامتلاكها.
التحويل (Transfert)	ومعنى هذا أن ينتقل المتعلم من وضعية أصلية إلى أخرى مستهدفة وذلك باستخدام معارف ومهارات مكتسبة في وضعية مغايرة.

وإذا كنا نتحدث عن الكفايات في مجال التربية والتعليم، فإنه ينبغي هنا وفي هذا المقام أن نذكر أنواع تلك الكفايات التي تتوافر في المعلم الناجح فتمكنه من بلوغ مبتغاه، وتصنيف الكفايات عديد ومتشعب، وقد رأيت أن أصنف بعضها في هذا المخطط:

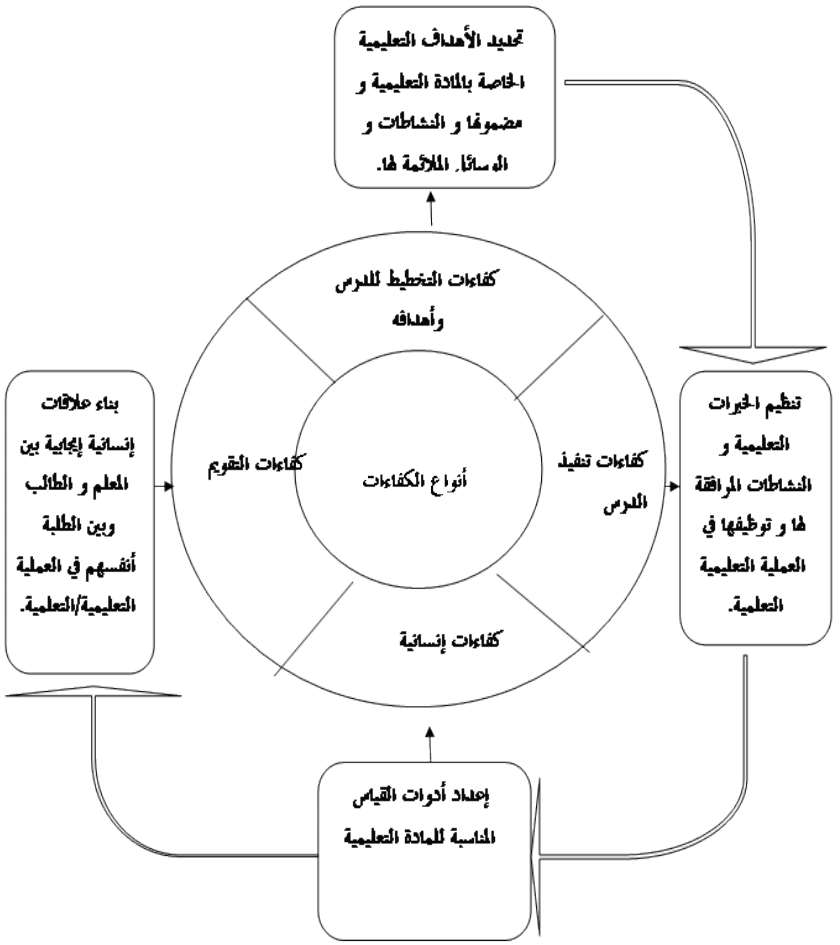

ففعالية المعلم تكمن في قدرته على التعامل الإيجابي مع مختلف الظروف والعوامل التي تؤثر في العملية التربوية؛ ومحاولة التأقلم معها بما يناسب وتباين الظروف التي تفرض وجودها عليه، والتعامل معها بإيجاد وابتكار طرق ووسائل تأثير جديدة تمكنه من اقتراح الحلول المناسبة للقضايا التربوية، والتي يرى المعلم أنها تعرقل سير مهمته.

٢. المتعلم:

حين نتحدث عن المتعلم، فإننا نشير إلى مكتسباته، خصائصه السيكولوجية وسنه أيا كان جنسه، وهذه كلها عوامل هامة تؤثر على فهمنا لهذا الفرد الاجتماعي، فهو عند ولوجه المدرسة لأول وهلة، تراه يحمل معه أفكارا تربى عليها، وليس من السهل أن يتخلى عنها، وهو ما تأباه العملية التربوية، ولذا فإن المتعلم يمر بمراحل عدة أثناء نموه الجسمي

والعقلي والنفسي، وبالتالي يتحصل على قدر من المعلومات التي تتداخل فيها عوامل كثيرة (اجتماعية، نفسية، ثقافية، تربوية) ، مما يتوجب على المدرسة التدخل لتعزيز وتعديل هذه العوامل قصد بلورتها ومحورتها.

وحتى تنجح العملية التربوية، وجب مراعاة كل الجوانب التي تظل مرتبطة بالمتعلم، وإلا ذهبت جهودنا هباء منثورا، وقد يتساءل القارئ عن هذه الجوانب فأجدني أوضحها في هذه الشبكة:

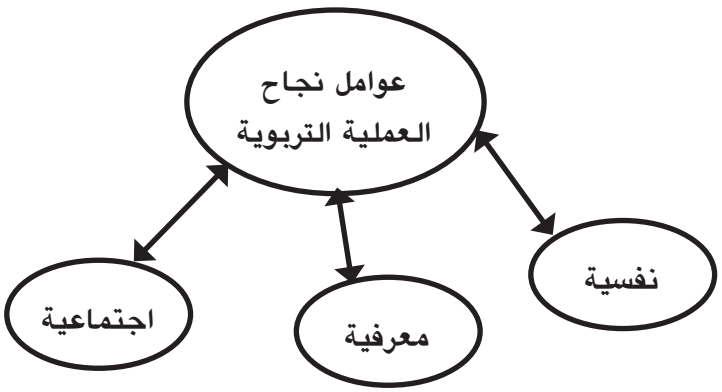

فحسب بياجيه "PIAGET " فإن (المعرفة تكتسب إذا ربطت بمعارف سابقة، والتعلم لن يحدث إلا إذا اندمج في شبكة من ذي قبل في النسق المعرفي للفرد، فالمتعلم يحمل تصورات لن يتخلى عنها بسهولة لأنه حصل عليها من خلال تفاعلاته الاجتماعية ومعايشته لمحيطه، فكل التعلمات أصبحت تركز على أنه في كل تعلم لابد أن نأخذ بعين الاعتبار التصورات الموجودة في عقلية التلميذ وفي نظامه المعرفي، فعلى البيداغوجي أن يحلل طبيعة التصورات الخاطئة حتى يتغلب على عوائق التعلم) [٧] ، وهنا يأتي دور المعلم في جعل التلميذ منخرطا في العملية التعلمية التربوية، ولن يتأتى هذا إلا إذا كانت (المهام الماثلة أمامه « المتعلم» خلال النشاط الدراسي مفهومة من قبله وأن يقبلها داخليا، بمعنى أن تكتسب أهمية الطالب وأن تلقى بهذا الشكل صدى ونقطة ارتكاز في معايشته) [٨] .

والمتعلم هو المحور الأول والهدف الأخير من كل عملية تربوية وتعليمية، ولأجله تقام المدارس وتجهز بمعظم الوسائل والإمكانات التي تتيح له الاستفادة من هذه العملية، **وحتى ترسو سفينة العملية التعلمية في مرساها وتنجو من الأمواج المتلاطمة وجب أن تتوافر فيها مجموعة من الشروط أهمها:**

أ. النضج: يحتاج المتعلم إلى قدر لابأس به من النضج، فكلما نما الطفل كانت

الاستجابة أحسن، وإذا حدث العكس فهذا يعني أن الطفل متخلف عقليا، ذلك أن نضجه العقلي لم يكتمل بعد، ما يتوجب على المعلم مراعاته لدى كثير من التلاميذ.

ب. الاستعداد: والنضج وحده لا يكفي لتلقي التعلم، فهناك شرط الاستعداد النفسي للمتعلم الذي يساعده على الرغبة الملحة في التعلم، ولا يتأتى هذا إلا بتهيئة الأجواء الملائمة والمريحة للتلميذ.

ت. الممارسة: وللممارسة أهمية كبرى في عملية التعلم، ولا تكتسب إلا بالمهارة، ونعني «الممارسة» تحسين الأداء والتطلع نحو الأفضل، وهي لا تكفي وحدها، بل لا بد من الشروط الأخرى مقترنة ببعضها.

ث. الحوافز: تلك الدوافع التي تعين المتعلم على التحصيل الدراسي، وتوفر للمعلم الجو المناسب لمعرفة تلاميذه، وتكون هذه الحوافز طبيعية ومكتسبة، فالأولى تدل على استعدادات ضرورية لكيان الفرد، أما الثانية فهي حصيلة ما اكتسبها الفرد من بيئته بالخبرة والتدريب، وتحفيز المتعلم على العمل الذي (يترتب عن تبني الطرق البيداغوجية النشطة... كونه يعي ما تحمله وضعية التعلم من معنى، لربطها بواقعه المعيش واستغلال مكتسباته في المدرسة وخارج المدرسة، لحل مشكلات يفترض أن تكون جديدة، كما ينجر عن تبني هذه المقاربة التخفيف من حدة حالات عدم انضباط التلاميذ في القسم أو قد تزول، ذلك لأن كل واحد منهم سوف يكلف بمهمة تناسب وتيرة عمله وتتماشى وميوله واهتماماته) [٩] ، وهنا تدخل المقاربة بالكفايات والتي توظف لتنمية قدرات المتعلم بأنواعها المختلفة– العقلية المعرفية، العاطفية الانفعالية، والنفسية الحركية– (اعتمادا على الوضعيات/ المشكلات وإعداد المشاريع التي ينبغي أن تنطلق من واقعه المعيش وأن ترتبط به) [١٠] ، ونعني بهذا القول أننا نضع الطالب أمام وضعية ومشكلة يحاول من خلالها توظيف قدراته ومهاراته لحلها، كما يكلف بإعداد بعض المشاريع التي تلائم بيئته.

وتبقى مكانة المتعلم في هذه العملية أي المقاربة بالكفايات محفوظة، حيث ينتظر منه القيام بمهام عدة قصد تنمية مهاراته وقدراته، **وقد رأيت عرض هذه القدرات في هذه النقاط**:

- إعداد عمليات عسيرة لهدف واضح.
- محاولة اتخاذ القرارات المناسبة في حل المشكلات.
- معالجة بعض المعلومات في عدد معتبر من المواد.
- المساهمة الفعالة مع تلاميذ آخرين قصد التفكير في الموارد المجندة.

- إيصال المعلومات المكتسبة وتقاسمها مع آخرين.
- المساهمة في تقويم الإنتاج والذي نعني به الكفاية.

ومن خلال هذه القدرات والمهارات نتوصل إلى ماهية الكفاية والتي أراها معرفة على الشكل الأتي:

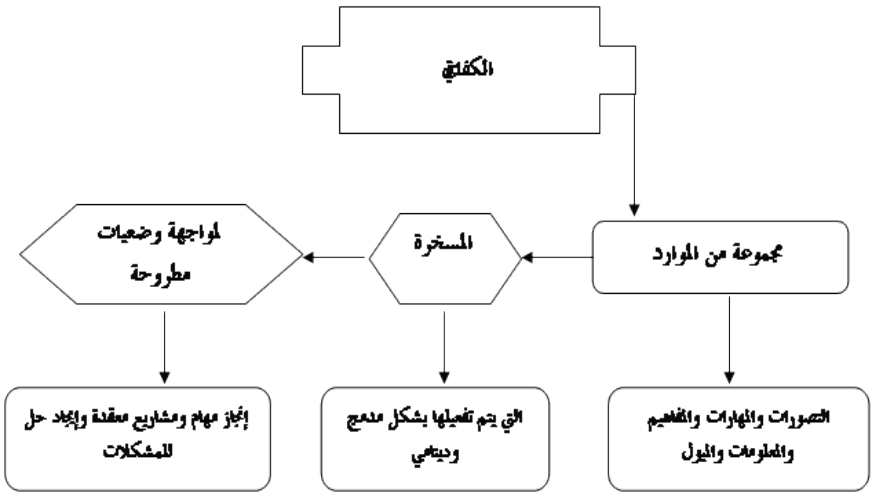

٣. المنهاج:

تعتبر قضية تطوير المناهج التعليمية من أهم القضايا التي تحرص بعض الدول العربية على وضعها من بين أولويات اهتماماتها؛ على أن مسألة التطوير والتنمية ضرورة حتمية يفرضها التقدم التكنولوجي، فتغيير المناهج وتحديث محتوياتها يفرض نفسه، وبخاصة و أن عولمة المبادلات تملي على المجتمعات تحديات جديدة لن تبلغ مبتغاها إلا بالإعداد الجيد و التربية الناجعة للأجيال، فأي تربية إنما تجد مصدرها و عللها في القيم التي تتبناها و التي تخضع لأفكارنا وتصوراتنا للإنسان و عن علاقته بالمجتمع، فلكل عمل تربوي مهما كانت أبعاده معنى، و الذي يعني ربطه بنظام القيم بتباين أنواعها « الفلسفية، الاجتماعية، السياسية، الثقافية والاقتصادية»، وهي التي تؤسس سياسة تربوية، و هذه السياسة التربوية إنما يجري التعبير عنها في المناهج.

والمنهاج هو تلك النقطة التي يلتقي فيها المتعلم بالعالم المحيط به، وهو الوسيلة التي تدرك الأمة بها غاياتها وأهدافها، كما أنه ذلك المخطط الدقيق والشامل لمسارات دراسية محددة، والإطار النظري الذي يعتمد عليه المربي لبناء شخصية قوية مستعدة لقيادة جيل يسمو إلى التطلع نحو عالم حر تسوده العدالة والمساواة، لذلك فالمنهاج هو الذي يضبط

ويحدد هوية المجتمع وقيمه وثقافته وفلسفته في الحياة وتطلعاته، وهو الذي يحدد مجمل مسالك التعلمات المسطرة للمتعلم ذلك أن موضوعه يعتبر من أهم موضوعات التربية، بل هو القلب النابض للعملية التربوية و أساسها الذي ترتكز عليه، لأن صلاح الأمة في صلاح مناهجها وبرامجها التربوية، فهي كمضغة القلب إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله.

المنهاج بين التقليد والتجديد:

للمنهاج تعاريف عديدة ولا يمكن حصرها في هذا المقام، ولذا سأعرض بعضا منها على سبيل الذكر والتوضيح، فالمنهاج هو (مجموعة المواد الدراسية أو البرامج التي يدرسها التلاميذ) [١١] ، وهذا في نظري تعريف قديم للمنهاج، بحيث يتناول مجموعة من المعلومات والحقائق والأفكار والمفاهيم التي يدرسها التلميذ على شكل صورة مواد دراسية، وهذا المفهوم يجعل كلمة منهاج مرادفة للكلمات التالية: مقرر أو برنامج دراسي، إلا أن أهم ما يميز المنهاج بمفهومه التقليدي تلك النظرة الضيقة، وقلة العناصر التي يتم التركيز عليها في التدريس دون غيرها من الأنشطة الأخرى والتي يقوم بها المتعلم في المدرسة، **كما أن هناك خصائص أخرى يتسم بها المنهاج القديم والتي أراها موجزة كالآتي:**

- الإعداد المركزي للمنهاج دون إشراك المعلم والطاقم المدرسي في ذلك.
- التركيز على الكم والابتعاد عن الكيف في نقل المعلومات.
- البعد عن الواقع المعيش وانشغالات المتعلم.
- إهمال الجانب الخبراتي والتربوي للمتعلم ومحيطه.

لذا دعت الضرورة إلى إعادة النظر في بناء المناهج الدراسية مواكبة لمستجدات العصر، وباعتبار المنهاج وثيقة رسمية تعتمدها كل المنظومات التربوية العالمية انطلاقا من المقاربة بالمضامين (المقررات) والمقاربة السلوكية إلى المقاربة بالكفايات، فما هو المنهاج بمفهومه الحديث؟ وما هي عناصره الأساسية؟ وما الأسس التي تساعد في بناء المناهج؟

وقبل أن أسلط الضوء على هذه التساؤلات ينبغي أن أعطي مفهوماً وجيزاً للمنهاج الحديث من الناحية الوظيفية، فقد عرفه أحد الباحثين بأنه (مجموع الخبرات التربوية والأنشطة التعليمية التي توفرها المدرسة ليتفاعل معها الطلاب داخل المدرسة وخارجها تحت إشرافها بقصد سلوك الطلاب نحو الأفضل في جميع المواقف الحياتية [١٢] ، ويتمحور

المنهاج حول المتعلم بحيث يعينه على التأقلم مع بيئته وفهم حقيقة مجتمعه والمساهمة في حل المشكلات، والعمل على تنمية المجتمع ورقيه، **وهذا يستدعي أمورا منها**:

- تنويع الأنشطة والخبرات التعليمية، وربطها بالدوافع والحاجات الاجتماعية.
- مراعاة مستوى المتعلمين وفروقهم الفردية
- التحفيز على الإبداع، وربط الخبرات بالحياة العملية.

عناصر المنهاج:

يتكون المنهاج من أربعة عناصر أساسية تكمل بعضها ويرتبط كل عنصر منها بالآخر، وهو ما يوضحه لنا هذا الجدول:

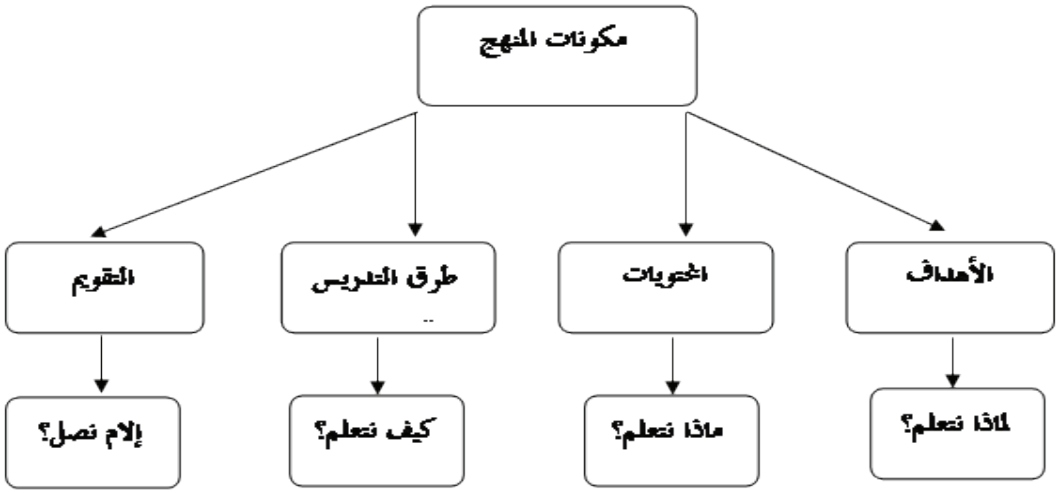

أسس بناء المناهج:

يؤكد خبراء التربية وعلم النفس على تبني أسس معينة في مجال بناء وتخطيط البرامج والمناهج، وفق المقاربة بالكفايات والتي أسلفنا ذكرها، وهذا حتى يكون المنهاج منسجما مع المتعلم وبيئته الاجتماعية ومحيطه الثقافي، وقد رأيتها مصنفة في هذا الجدول:

الأساس الفلسفي	الأساس الاجتماعي	الأساس النفسي	الأساس المعرفي
تبني فلسفة تربوية معينة محددة وواضحة تعكس في المقام الأول فلسفة المجتمع، لأنها هي التي تحدد التوجهات الهامة للمنهج.	مراعاة احتياجات المجتمع في نقل التراث العلمي والثقافي والاجتماعي من جيل لآخر.	مراعاة سن المتعلمين، واهتماماتهم وميولهم وحاجتهم النفسية، وقدراتهم العقلية، وفروقهم الفردية وخصائص نموهم.	مراعاة نوع المعارف الأكاديمية المتخصصة التي يحويها المنهاج، والتي تقدم للمتعلمين في تحقيق نوع الإنسان المقصود تكوينه.

ولعل تغيير الوجهة في مجال بناء المناهج وفق المقاربة بالكفايات والمهارات، كما هو الحال في بعض مواد المناهج المدرسية الجزائرية (العلوم الطبيعية، الفيزياء، التربية البدنية) خير دليل على ذلك، علما أن المقاربة بالكفاية ما هي إلا استمرار طبيعي للمقاربة بالأهداف ولإطارها المنهجي والعلمي.

خاتمة:

لا يختلف اثنان في تحديد عناصر العملية التربوية، فما من شيء إلا له أسسه وعناصره التي يعتمد عليها، والعملية التربوية واحدة من هذه الأشياء التي تعتمد في خططها على ثلاثة أركان أساسية، لا تكتمل إلا باجتماعها وتفاعلها، (المعلم، المتعلم، المنهاج) ، وقد ذكر بعض المربين عنصرا آخر يتمثل في الأسلوب أو طريقة التعليم، إلا أنني ضربت صفحا عنه، لأن الأسلوب يختلف من شخص لآخر، وينفع في موضع ويضر في آخر، **وخلصت في دراستي إلى**:

١. أن العملية التنموية لن تتم إلا بالعملية التربوية، وأن هذه الأخيرة لا تكتمل إلا بتفاعل عناصرها، وذلك بمواكبة التطورات البيداغوجية العالمية.

٢. أن التكنولوجيا فرضت نفسها على الحياة الاجتماعية، وأثرت حتى في العملية التربوية، ما جعل المعلم موجها ومعينا للمتعلم، وصار لزاما على المتعلم أن يأخذ المعرفة أين وجدها، ولما كانت العملية التربوية تعتمد في أساسها على المعلم والمقاربة بالأهداف، أقحم المتعلم وصار محور العملية والمعلم موجها له دون أن يشرك نفسه في جميع الخطوات كما كان عليه سابقا، لأن التدريس بالأهداف ولّى زمانه، ولم يوائم متطلبات العصر الحديث، وأن المجتمع يحتاج إلى أشخاص قادرين على تطويره وترقيته، ما دفع المختصين في مجال التربية والتعليم يواكبون هذا العصر بالحرص على اكتشاف تلك القدرات والمهارات، التي تساعد على نجاح العملية التربوية، من منطلق المقاربة بالكفايات، وذلك باستعمال استراتجيات حديثة تعتمد كلية على قدرة المتعلم في الاكتشاف والمناقشة والتحليل، والعرض والتقويم.

٣. أن المنهاج تلك الخريطة التي تحدد هوية الأمّة وثقافتها وقيمها وتحقق أهدافها، وهو المخطط الشامل والدقيق الذي ينتهجه المعلم والمتعلم معا في بناء شخصية قوية، تعمل على قيادة جيل يسمو للعطاء، ويتطلع نحو الحرية والعدالة.

ومن هنا يتضح لنا أن العملية التربوية كل متكامل (معلم، متعلم، منهاج) ، وليست بالعمل السهل والارتجالي، ولكنها عمل منهجي هادف مبني على قواعد تنظيمية يمس الفرد في كيانه وشخصه، بل في مجتمعه، وكما أسلفنا في مقدمة البحث أن العمل التربوي يتم بين الفرد وعوالمه الثلاثة: عالم الطبيعة وعالم المجتمع، وعالم الأخلاق وموقف المعلم منهم ويظل التفاعل مستمراً بينهم.

الهوامش:

١. محمد عبد العزيز، مقاربة تحليلية لصورتي المعلم والتلميذ وتفاعلهما، مكتبة جامعة وهران، ١٩٩٥ م، ص ١٢.

٢. عبد الجميد فايد، رائد التربية العامة وأصول التدريس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م، ص ٣٥.

٣. محمد السرغيني، التربية لمدارس المعلمين والمعلمات ولطلاب الكفاءة، منشورات مكتبة الرشاد، ١٩٦٣م، ص ٥٠.

٤. كلمة لجون جاك روسو، أنظر أبو الفتوح رضوان، المدرس في المدرسة والمجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٩٩/ ١٠٠.

٥. عبد الأمير شمس الدين، المذهب التربوي عند ابن جماعة ط٠٢، دار اقرأ للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م، بيروت، ص ١٧.

٦. محمد الطاهر وعلي، بيداغوجية الكفاءات، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، ٢٠٠٦ م، ص ٩.

٧. أنظر- Laurence Cornu et Alain Vergenoux, La didactique en question, Hachette education, Paris 1992, p 50

٨. أحمد خنسة- دليل المعلم إلى التربية وعلم النفس- منشورات دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٠ م، ص ٢٧٤.

٩. محمد الطاهر وعلي، بيداغوجية الكفاءات، ص ١٣

١٠. محمد الطاهر وعلي، ص ١٣.

١١. خيري وناس و بوصنبورة عبد الحميد، كتاب التربية وعلم النفس، الديوان الوطني للتعليم والتكوين عن بعد، الجزائر، ٢٠٠٧ م، ص٥٨.

١٢. محمد عبد الكريم أبو سل- مناهج الرياضيات وأساليب تدريسها، ط١، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٩م، ص ٢٦.

المصادر والمراجع:

أولاً ـ المراجع العربية:

١. أبو الفتوح رضوان، المدرس في المدرسة والمجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

٢. أبو سل محمد عبد الكريم، مناهج الرياضيات وأساليب تدريسها، ط ١، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٩ م.

٣. السرغيني محمد، التربية لمدارس المعلمين والمعلمات ولطلاب الكفاءة، منشورات مكتبة الرشاد، ١٩٦٣م.

٤. الطاهر وعلي محمد، بيداغوجية الكفاءات، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، ٢٠٠٦ م.

٥. خنسة أحمد، دليل المعلم إلى التربية وعلم النفس، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٠ م.

٦. خيري وناس و بوصنبورة عبد الحميد، كتاب التربية وعلم النفس، الديوان الوطني للتعليم والتكوين عن بعد، الجزائر، ٢٠٠٧ م.

٧. عبد الأمير شمس الدين، المذهب التربوي عند ابن جماعة، ط ٠٢، دار اقرأ للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦ م.

٨. عبد العزيز محمد، مقاربة تحليلية لصورتي المعلم والتلميذ وتفاعلهما، مكتبة جامعة وهران– ١٩٩٥ م.

٩. فايد عبد الجميد، رائد التربية العامة وأصول التدريس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١ م.

ثانياً ـ المراجع الأجنبية:

1. *Laurence Cornu et Alain Vergenoux, La didactique en question, Hachette education, Paris 1992.*